

آثار الفارقة الفردية في التحصيل الدراسي لدى متعلمي المرحلة الابتدائية بين التعليلات والحلول.

Post Title: Effects of Individual Variation on Academic Achievement among Primary Stage Learners Between Transfiguration and Solutions.

¹ شادلی عمار

omar.chadli@univ-said.dz

2
بن يمينه بن يمينه

benyaminauncsaïda@yahoo.fr

جامعة مولاي الطاهر - سعيدة/ الجزائر

تاریخ الاستلام: 2019/09/16

تاريخ القبول: 2019/11/11

تاريخ النشر: 2020/03/31

ABSTRACT:

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ

The phenomenon of individual differences is the most important facts of human existence, which occupied the specialists in the field of education sciences, and this is reflected through various scientific studies aimed, in order to reach the most effective pedagogical mechanisms to study the individual deviations of learners, so I felt the study of the effects of individual difference in the academic achievement of primary learners Through concepts, manifestations and effective solutions.

key words: Individual differences - Individual deviations - Academic achievement - Effects of difference - Effective solutions.

تعد ظاهرة الفروق الفردية أهم حقائق الوجود الانساني التي شغلت المختصين في مجال علوم التربية، و يتجلى ذلك من خلال مختلف الدراسات العلمية الهادفة، بغية التوصل إلى أنجع الآليات البيداغوجية الكفيلة بدراسة الانحرافات الفردية للمتعلمين، لذلك ارتأيت دراسة آثار الفارقة الفردية في التحصيل الدراسي لمُتعلمي الابتدائي من خلال المفاهيم والتجليات والحلول الناجعة.

الكلمات المفتاحية: الفروق الفردية-الانحرافات الفردية- التحصيل الدراسي – آثار الفارقة-الحلول الناجعة.

مقدمة :

إن الحقيقة التي لا تقبل نقاشا، أننا إذا كنا حقا نريد النظر إلى المستقبل نظرة موضوعية، فإن نقطة البداية ترتكز على الطفل أولا و أبدا، فكل طفل و من منطق انساني هو كائن بشري له شخصيته و صفاته و مميزاته سواء أكانت في الذكاء أو في غيره ، وهذا ما اصطلح عليه بالفروق الفردية أو الفارقة

¹ المؤلف المرسل: شاذلي عمار.

عند الأطفال ، هذه الأخيرة التي تنمو مع الانسان وتلازمه إلى آخر لحظة في حياته، لذلك فإن موضوع الفروق الفردية يعتبر من أهم المواضيع التي شغلت اهتمام العلماء بصفة عامة ، و علماء النفس التربوي على وجه الأخص، محاولين من خلال مختلف دراساتهم العلمية النظرية و الميدانية، التوصل إلى أنجع الأساليب والآليات الحديثة ، لمعالجة الظاهرة على مستوى الفضاء التربوي التعليمي، باعتبارها أمراً طبيعياً لا ينبغي أن يشكل حاجساً في نظر الأولياء داخل الأسرة أو الجماعة التربوية، فهي جزء لا يتجزأ من مراحل نموه بطبيعة الحال، ولأهمية الموضوع ارتأت معالجته في شكل دراسة وأوسمتها بـ: « الفارقة الفردية و آثارها في التحصيل الدراسي لدى متعلمي مرحلة التعليم الابتدائي بين التجليات والحلول، وفق دوافع ذاتية و موضوعية ، فأما الأولى فهي تتمثل في:

*الرغبة في البحث أكثر عن مشكلة سبقنا إليها الباحثون و الناظرون في الحقل التعليمي التعليمي، فالمعلم يواجه مشاكل في أثناء قيامه بالمهام البيداغوجية و التربوية ، إذ يحاول جاهدا الكشف عن الأسباب التي كانت ولا تزال تشكل محور تساؤل لدينا، و هو ما السر وراء تباين نتائج المتعلمين على الرغم من أنهم يتلقون نفس التعليم و الرعاية بينما مدرّسهم واحد؟ وأما الموضوعية منها فيمكن اجمالها على النحو الآتي:

*بالنظر إلى التوجه الذي يمليه علينا التخصص، فقد حاولنا التقرب و التطرق إلى مشكلة كبيرة و حساسة تواجه كل من يقتحم عالم التربية و التعليم ، ألا وهي الفروق الفردية لدى المتعلمين عبر مراحلهم التعليمية.

*محاولة ايجاد أحدث الآليات والاستراتيجيات العلمية التي تيسر التعامل مع الظاهرة بغية معالجتها، باعتبار المدرس يتعامل مع عدد غير محدود من الذهنات التي تتوافد إليه من بيئات، و أوساط اجتماعية، و ثقافية، و اقتصادية مختلفة و متباينة من حيث القدرات العقلية و المهارية ، لذا فهو مطالب بمنحهم تعليماً معتدلاً، يضمن التكفل الأمثل بكل واحد منهم على حدة ، و بناء على هذا التصور للظاهرة، سنحاول في هذه الدراسة الاجابة عن جملة من التساؤلات أهمها:

1- إلى أي مدى يمكن للفروق الفردية إحداث التباين بين المتعلمين؟ وكيف يؤثر ذلك في عملية التحصيل الدراسي سلباً أو إيجاباً؟

2- هل يتمكن المعلم من التعامل و التوفيق بين هذه الذهنات المتعددة؟

3- كيف يستطيع المعلم احتواء الفروق الفردية في قسمه و التقريب بينها لجعل المتعلمين كتلة واحدة ؟

4- ماهي أنجع الطرائق و الأساليب للتغلب على الظاهرة واحتوائها؟

وللتفاعل الأمثل مع حيثيات و مجريات الدراسة بشقيها النظري والتطبيقي، فقد اعتمدت المنهج الوصفي من خلال توظيف أبرز أدواته الاجرائية المتمثلة في: التحليل، و التطبيق ، والاستنتاج، وصولاً في الأخير الى حوصلة لأهم النتائج المتوصل اليها ، وذلك بإيجاد الأجوبة الشافية لبعض الاشكالات المطروحة بخصوص مدى تأثير الفروق الفردية في التحصيل الدراسي ، وكذا جملة السبل والآليات الكفيلة بمعالجتها على مستوى مؤسساتنا التربوية.

1/ مفهوم الفروق الفردية:

تدل الدراسات النفسية على أن لكل انسان نمطه الخاص به سواء من ناحية الشكل أو اللون أو التفكير أو المزاج ، فكل فرد له صفات جسمية و مزاجية و انفعالية و عقلية و ادراكية تميزه عن غيره من الأفراد، و هذه الميزات ترافق الطفل منذ لحظة الحمل أو الولادة ، و تستمر معه على طول فترة حياته ، و هناك فروق أخرى يكتسبها من خلال الخبرات و العادات و الاتجاهات و القيم ، و قد أورد الباحثون تعريفات كثيرة في ميدان علم النفس الفارقي ، واختيار

لفظة " الفارقة " في العنوان مرده إلى كون هذه الأخيرة تسمية حديثة للفروق الفردية في المنظومة التربوية التعليمية، وهي لا تشكل اختلافا في المعنى بل في الإطلاق والتسمية فقط.

و حين نبحت في الجذر اللغوي لكل من كلمة " الفروق " و " الفردية "، نجد أنه جاء في لسان العرب في باب (ف ر ق): "الفرق خلاف الجمع...و الفرق التفريق بين شيئين، وهو الفصل"¹.

و جاء في باب (ف ر د): "الفرد هو الوتر، و الجمع أفراد، ...و استفردت الشيء إذا أخذته فردا لا ثاني له و لا مثل...و استفرد الشيء أخرجه من بين أصحابه"²

فبجمعنا بين الكلمتين يتبين لنا أنهما تدلان على الاختلاف الكامن بين الأفراد.

و بالعودة إلى مجال الاختصاص نجد لها عدة تعريفات تتقارب في مضمونها، فالفروق الفردية في المعاجم المختصة كما ورد في المعجم التربوي و علم النفس لنايف القيسي الذي عرفها بقوله: "هي اختلاف الطلاب في المستويات العقلية و المزاجية و البيئية، وهي تمثل الانحرافات الفردية عن المتوسط الجماعي للصفات المختلفة، فالفروق الفردية مصطلح يدل على التغيرات و الانحرافات بين الأفراد عن معدل الجماعة و متوسطها، بالنسبة للصفات و المزايا العقلية و الجسدية، وهي فوارق تحدث لدى الأفراد من أعضاء جماعة واحدة"³.

و ذلك ما ذهب إليه فرج عبد القادر بقوله: "هي الفروق العقلية و الجسمية و النفسية التي تميز فردا عن آخر، فهذا الفرد أكثر ذكاء من ذاك، و هذا أقل انطوائية من ذاك، كما أن هذا أطول من ذاك"⁴. و يذهب كل من ناصر أحمد الخوالده و يحي اسماعيل العيد إلى تعريف الفروق الفردية بقولهما: "يقصد بالفروق الفردية مجموع السمات و الصفات التي تميز أي فرد من أفراد المجموعة عن غيره، و أية مجموعة من المجموعات و غيرها"⁵. فالفروق الفردية هي بمثابة المقياس العلمي لمدى الاختلاف القائم بين الناس في صفة مشتركة، و من ذلك تعد ظاهرة الفروق الفردية من أهم حقائق الوجود الانساني التي أوجدها الله سبحانه و تعالى في عبده، و هذه الاختلاف هي التي تحدد طبيعة الوظائف بين الأفراد"⁶.

فمفهوم الفروق يعتمد على مبدأ التشابه و الاختلاف، فالتشابه نوعي في نوع الصفة المراد مقارنتها، أما الاختلاف فهو التباين الكمي في درجات و مستويات هذا الاختلاف و هذا يدفع بعجلة البحث على ضرورة الوقوف على أنواع الفروق الفردية، و هو ما سنتناوله في الجزئية الموالية.

2/أنواع الفروق الفردية: طبيعة الفروق تدل على الاختلاف و كنتيجة منطقية عن هذا التباين نشأت عدة أنواع منها:

1.2/الفروق بين الأفراد: إننا نلاحظ الفروق بين الناس في صفة واحدة، كاختلافهم في صفة الطول أو الوزن أو الذكاء أو ما يقارب الفرد مع غيره من الأفراد في ناحية من النواحي النفسية و التربوية أو المهنية أو الجسمية، و هذا يساهم بطريقة أو أخرى في تحديد مكانته و تربيته بين الأفراد.

2.2/الفروق في ذات الفرد: يبدو هذا بنظرنا إلى السمات أو الصفات أو القدرات الموجودة في الفرد الواحد، إذ يتميز كل فرد بمجموعة من السمات أو مجموعة من القدرات اللغوية و القدرات الكتابية و لكنها توجد في الفرد بنسب متفاوتة، فنلاحظ في شخص ما أنه متميز من ناحية القدرات العقلية، و لكنه عادي في القدرات اللفظية⁷، كما قد لا يكون ذا قدرة كبيرة على احتمال الألم النفسي، و قد نجده ميالا إلى دراسة العلوم الاجتماعية بادي النفور من دراسة العلوم الرياضية⁸.

3.2/ فروق في درجة وجود الصفة: وهي الفروق الموجودة بين الأفراد في الصفة الواحدة، بحيث تكون الاختلافات الموجودة بينهم في الدرجة ومدى التفاوت فيها، وليس في نوع الصفة، فمعظم الناس يختلفون في القامة، وهي النوع في الطول والقصر وهما يقاسان بمقياس واحد ألا وهو المتر، بخلاف الطول والوزن⁹ إذ نجد مقياسين مختلفين فتقاس الأولى بالأمتار بينما تقاس الثانية بالكيلوغرامات، وينجم عن هذه الفروق تميز كل فرد عن غيره من الأفراد.

ومعرفة هذه الفروق يساعد في الكشف عن العوامل الرئيسية التي تحدد نجاح الفرد، إذ أن النجاح يتسع ليشمل كل مكونات الشخصية في تفرداها من فرد لأخر¹⁰، وذلك من خلال مقارنة الفرد بغيره من أقرانه في العمر الزمني أو القسم الدراسي أو البيئة الاجتماعية.

4.2/ الفروق بين الجماعات: هذا النوع من الفروق يتجاوز حدود الأفراد ليشمل الجماعات حيث أثبتت الدراسات العلمية المتعددة أن هناك فروقا في جوانب الحياة النفسية بين الأجناس المختلفة حيث نجد أن "لكل جماعة خصائص ومميزات معينة تميزها عن الجماعة الأخرى، ويكون أفراد تلك الجماعة يتشابهون في تلك الصفة، كأن يتميز سكان آسيا بـ "اللون الحنطي" في حين يتميز سكان أوروبا بـ "اللون الأحمر"¹¹.

وبذلك فإن دراسة وقياس هذا النوع من الفروق يساعد على معرفة سيكولوجية الجماعات والعوامل المسؤولة عن الفروق الموجودة بينها.

3/ مظاهر الفروق الفردية: تبرز الفروق في الأشخاص على اختلافهم وتتجسد هذه الاختلافات من خلال مظاهر عديدة سواء من الناحية الجسمانية أو العقلية أو الوجدانية أو المهارية. فتظهر هذه الفروق ضمن ما يعرف بالفرق في نوع الصفة وليس الصفة في حد ذاتها، كاختلاف القدرة العددية عن القدرة اللغوية، و كاختلاف الطول عن الوزن حيث لا يخضع هذا الاختلاف أو هذا الفرق للقياس وذلك لعدم وجود صفة مشتركة بينهما يمكن قياسها بمقياس واحد، ويمكن حصر مظاهرها على النحو الآتي:

1.3/ المظاهر الجسمية: ويقصد به المظهر العام المحسوس المتمثل في الطول، والوزن، واللون، وما يتصل بذلك من سمات وخصائص نوعية¹² مثل:

- حالة الجهاز العصبي عند الفرد.
- حالة الغدد الصماء.
- الحالة الصحية العامة للجسم.
- الناحية الحسية الحركية.

فالباحثون في مجال التعليم وتطور النضج العقلي وأسباب التأخر الدراسي قد توصلوا إلى أن أسباب هذا التأخير مرتبط بالنضج العضوي أكثر من ارتباطه بالذكاء والعمر العقلي.

ولا ريب في قولنا أن الصحة النفسية والجسمية للطفل تساهم وبشكل كبير في بناء شخصيته وتوجيه ميوله وسلوكه، فمثلا الطفل الضعيف البنية، نجده دائما يميل إلى الانعزال، والتقوقع على نفسه بخلاف الطفل ذو البنية القوية، حيث نجده أكثر حركية، و اندفاعية نحو الاكتشاف، وتجاوز الصعاب، وكذلك هو الأمر بالنسبة للطفل الجبان أو الذي يتملكه شعور الخوف والطفل الواثق.

2.3/ المظاهر العقلية (الإدراكية): تتجلى مظاهرها في مجموعة من السمات كالقدرات العقلية العامة المتوفرة لدى جميع الناس ولكن بنسب متفاوتة نحو: الذكاء مثلا، وهناك أيضا قدرات تمتاز بها جماعة أو طائفة معينة من الناس

دون غيرهم، كالقدرة على التذكر والإدراك... إلخ، وقدرات أخرى تختص بأفراد معينين كالقدرة على التعبير بطلاقة و هو ما لا نلاحظه عند الجميع، فيكون بشكل نادر أن نجد الطفل يعبر بكل طلاقة من غير خوف أو تلثم في كلامه، و هي تظهر عند الناس بمظاهر مختلفة كاختلافهم في فهم الحوادث، واستخلاص العبر والخبرات وتحليل المواقف والمشكلات¹³، فنحن جميعا نتعرض تقريبا إلى مواقف ومشاكل متشابهة ولكن طريقة تعاملنا مع هذه المواقف تختلف واستخلاصنا للعبر أشد تباينا، كما أنهم متفاوتون في المهارات وفي مستوياتهم، فهذا يقوى على التذكر ولا يقوى على التحليل، وذاك يبدع في نظم الكلام ولا يقدر على نظم الشعور والقوافي¹⁴، فالفروق الفردية تتطور مع نمو الفرد و تظهر بصورة جلية من خلال تعامل التلاميذ مع المقرر الدراسي إذ يبرز خضوعهم للفحص، وبناء على ذلك يتمكن المعلم من التعامل مع التلاميذ كل حسب قدراته ويتجنب معاملتهم معاملة واحدة، فالمعلم يجب ألا ينتظر من تلاميذته الوصول إلى نفس المستوى، فمنهم من يفهم من المرة الأولى، ومنهم من يفهم من المرة الثانية، ومنهم من يتعسر عليه ذلك.

3.3/ المظاهر الوجدانية: وتتجلى هذه المظاهر في:

- الميول والاتجاهات.
- الثبات وعدم الاستقرار.
- في سرعة الغضب والصبر.
- في العواطف والقيم... إلخ.

فالناس يتفاوتون في سماتهم الشخصية من حيث ميولهم إلى أشياء و مواد دراسية دون أخرى، فمنهم من يميل إلى الحساب والآخر يميل إلى العلوم، وهذا يحب الرياضة وآخر يهوى المطالعة... فهم مختلفون في ميولهم واتجاهاتهم¹⁵. كما أننا نجد فروقا في درجة الانفعال والغضب لدى الأطفال، حيث هناك من هو شديد الغضب ولا ينتظر من أي أحد تفسيراً أو شرحاً للأمر فيسارع بذلك للعدوان.

و يعرف الطفل التحول الأكبر في حياته عند دخوله المدرسة، وعلى الرغم من ذلك فهو يحتفظ بما كان يتلقاه في أسرته من تصرفات وأخلاق أي التربية الأولى بصفة عامة، والمعلم في المدرسة يلحظ هذا التمايز في نفسيات تلاميذه الذين كانوا مجرد أطفال في أسرهم، وهذا يجد الطفل الهادئ والمشاغب والثائر، كل حسب بيئة التي نشأ فيها، وعلى هذا الأساس ينطلق المعلم في تهيئة تلاميذه، بعودته الدائمة إلى ظروف التنشئة، ومحاولة الربط بينها وبين البيئة المدرسية، وهنا يلعب المعلم دور المربي والمعلم والمستشار النفسي.

4/ العوامل المؤثرة في الفروق الفردية: تعد الفروق الفردية ظاهرة كبقية الظواهر الأخرى، فهي تتأثر بعوامل تؤثر على سيرانها العادي وتؤدي إلى تحول مسارها، كما قد تساهم هذه العوامل في ظهور هذه الفروق وتطورها، وهي تتمظهر على النحو التالي:

1-4/ العوامل الوراثية: وبها المورثات أو الجينات التي تنتقل من الآباء إلى الأبناء، وتتمثل هذه المورثات في مجموعة من السمات أو الصفات أو المميزات مثل الطول والوزن واللون وهي مميزات نجدها في الذكور حيث يتفوقون في القدرة العددية والقدرة الميكانيكية بينما تتفوق الإناث في القدرات اللغوية والدقة والخفة¹⁶.

2-4 / البيئة الطبيعية: تؤثر البيئة الطبيعية على الفروق الفردية وذلك من خلال نمو الفرد بعدة طرق مختلفة، حيث تتمثل هذه المؤثرات في الأكسجين، والطعام والماء والحرارة والبرودة والرطوبة إضافة إلى التضاريس، كالجبال

و السهول و الصحاري، فناس الصحراء يختلفون في البنية الجسمية عن غيرهم في المناطق الباردة و كذلك يختلفون عنهم في طريقة تفكيرهم ، فالبيئة تؤثر في الفرد تأثيرا يثير استجابة تتواءم و متطلبات الفرد و رغباته¹⁷.

4-3/ العلاقة بين البيئة و الوراثة : يتفق العلماء و المختصون في النظرة إلى الفروق الفردية على أنها تعد نتاجا للتفاعل القائم بين العوامل الوراثية و العوامل البيئية و يكمن هذا التفاعل فيما يلي:

1- استعدادات الفرد و امكاناته و التي تتمثل في الجانب الوراثي ، إذ لا بد أن يتوفر للفرد الغذاء و التمرين لكي ينمو و يطول جسمه.

2- الخبرات و الممارسات التي يمر بها الفرد حيث تمثل الجانب البيئي.

3- درجة الدافعية للفرد التي تعمل على إلقاء و تفاعل استعداداته و امكاناته مع الظروف البيئية المحيطة به¹⁸.

5/ خصائص الفروق الفردية:

يمكن تلخيص أهم الخواص العلمية للفروق الفردية فيما يلي:

5-1- مدى الفروق الفردية : "المدى معناه العام هو الفرق بين أعلى درجة لوجود أية صفة من الصفات المختلفة وأقل درجة لها، فإذا كانت أعلى درجة لوجود صفة الطول مثلا هي 190 سم وأقل درجة هي 60 سم، فإن المدى في هذه الحالة يساوي 130 سم؛ أي الفرق القائم بين 190 سم و 60 سم، هذا و يختلف المدى من صفة إلى أخرى، و يختلف أيضا من نوع لآخر من الأنواع الرئيسية للصفات المتعددة، فمثلا مدى الطول يختلف عن مدى الوزن، و مدى القدرة على التذكر يختلف عن مدى القدرة على الاستدلال، و التذكر والاستدلال صفتان عقليتان، و يختلف مدى الصفات الجسمية عن مدى الصفات العقلية، و بذلك يختلف مدى الأنواع الرئيسية لتلك الصفات تبعا لاختلاف تلك الأنواع"¹⁹.

و تدل نتائج الأبحاث على أن أوسع مدى للفروق الفردية يظهر في السمات الشخصية، وأن أقل مدى لهذه الفروق يظهر في الفروق الجسمية، وأن مدى الفروق في النواحي العقلية يعتدل بين هذين الطرفين، و يتأثر أيضا مدى هذه الفروق بالجنس ذكرا كان أم أنثى فمدى الفروق الفردية بين الذكور أكبر منه عند الإناث²⁰.

وعليه توضح لنا هذه النتائج أهمية مراعاة الفروق الفردية وأخذها بعين الاعتبار، و ذلك من خلال قدرات كل فرد و بالأخص أثناء العملية التعليمية العلمية.

5-2/ معدل ثبات الفروق الفردية : " إن الفروق الفردية لا تثبت في جميع الصفات بنفس الدرجة و لقد دلت الأبحاث العلمية على أن أكثر الفروق الفردية ثباتا هي الفروق العقلية المعرفية ، وخاصة بعد مرحلة المراهقة المبكرة ، وأن الميول تظل ثابتة إلى مدى زمني طويل وأن أكثر الفروق تغيرا هي الفروق القائمة بين سمات الشخصية"²¹ و قد يرجع إلى عاملين²²:

- أن مدى التشتت في السمات الانفعالية أكبر منه في الصفات العقلية المعرفية.

- أنه من المحتمل أن تكون الصفات الانفعالية أكثر تأثرا بالعوامل الثقافية البيئية من الصفات العقلية.

"وبالرغم من تواتر نتائج الأبحاث على تأكيد نسبة الذكاء وخاصة قبيل الرشد فإن بعض الأبحاث الحديثة تشير إلى احتمال زيادة هذه النسبة نتيجة التدريب والتعليم، والعوامل الأخرى التي تؤثر في مستويات النمو العقلي للفرد"²³.

إذن فالصفات الوراثية تظل لمدة طويلة نسبيا مقارنة بالصفات التي تنشأ عن طريق التأثر بالبيئة المحيطة بالفرد.

3-5/التنظيم الهرمي للفروق الفردية : تؤكد نتائج الدراسات الإحصائية في مجال الفروق الفردية للصفات النفسية المختلفة، وجود تنظيم هرمي لنتائج قياس تلك الفروق، حيث توجد في قمة الهرم أعم صفة وفي قاعدة الهرم نجد الصفات الخاصة، ففي الصفات العقلية المعرفية نجد أن الذكاء وهو القدرة العقلية العامة أو أعم الصفات العقلية يقع في قمة التنظيم الهرمي، تليه القدرات العقلية الكبرى التي تقسم النشاط العقلي المعرفي إلى قدرات لفظية تعليمية وقدرات عملية ميكانيكية ، يلي ذلك مستوى القدرات العقلية المرتقبة التي تشتمل على نشاط معقد، مثل القدرة الميكانيكية والقدرة الكتابية، ثم مستوى القدرات الطائفية الأولية، ثم القدرات الطائفية البسيطة، وأخيرا توجد في قاعدة الهرم القدرات الخاصة.²⁴ فلو تصورنا مثلا التنظيم الهرمي للصفات العقلية المعرفية نجده كما يلي:²⁵



تنظيم هرمي للفروق الفردية

6/معالجة الفروق الفردية ورعايتها

تعتبر مشكلة الفروق الفردية من أبرز وأصعب المشكلات، التي تواجهها المدرسة في معظم الدروس، وفي مختلف الأطوار التعليمية، مما يشكل عائقا يمنع الجهود المدرسية على اختلافها و تكاثرها من أداء المهمة الابلاغية التعليمية، وقد سعي علم النفس الفارق إلى البحث عن السبل والطرق الناجعة والمفيدة من أجل تجاوز الفروق الفردية التي تتنوع بين الفروق في السلوك والقدرات العقلية والانفعالية، فأهمية علم النفس الفارقي نابعة من قدرته على تمكين المعلم من مواجهة هذه الفروق، وذلك من خلال محاولة تقليص المدى في هذه الظواهر، حيث يقوم بتوجيه الرعاية للفئة المتميزة وعناية خاصة للفئة الأضعف، و من الأساليب المتخذة للحد من الفروق الفردية ما يلي:

1-6/الأسس العامة للتغلب على الفوارق الفردية : أول ما تجدر الإشارة إليه هو أنه ينبغي على المعلم أو الأخصائي النفسي أن يعرف البرامج والأسس التي تقوم عليها المواجهة ثم يحاول تطويرها لتلائم الحالات الفردية المختلفة، فالمعلم مطالب بأن يضع لنفسه برنامجا من الملاحظة والتقويم الشخصي، لتحديد حاجات الطالب في المهارات المختلفة، ومدى الاختلاف بين طلاب الصف نفسه، وهذه الأسس يمكن أن نجملها فيما يلي:

أ- المواجهة لا تعني تغيير الصفة التي يحدث فيها تمايز أو إلغاؤها، بل المقصود بها هو الاجتهاد من أجل خفض أو رفع درجتها، مما يجعل التلاميذ يقتربون إلى حد كبير من مستوى بعضهم البعض، بحيث يقترب كلهم من المتوسط، فقد نجد ظهور الفروق في درجة القلق، مما ينعكس سلبا على التحصيل، ونستطيع القيام بمعالجة هذه المشكلة

عن طريق التدخل السيكولوجي لتحقيق ما يعرف بـ "السواء النفسي بالنسبة للتحصيل"، وهذا المصطلح يرتبط بالهدف المراد الوصول إليه.

ب- ينبغي وضع البرنامج المناسب لمواجهة الفروق، وذلك من خلال جعل المنهاج الدراسي يستجيب لهذه الفروق، فالمنهاج عادة ما يبنى على أسس فلسفية ونفسية واجتماعية وعملية تهتم إلى درجة كبيرة بهذا التفاوت الموجود بين الطلاب في قدراتهم واستعداداتهم واختلاف مستويات النمو لديهم، بالإضافة إلى آثار البيئة المتنوعة، وذلك ما هدف إليه منهاج اللغة العربية وسعى إلى تطبيقه إذ راعى الفروق الفردية بين الطلاب باتباعه للخطوات التالية :

- التدرج من السهل إلى الصعب.
 - التدرج من الأشياء المادية إلى الأشياء المعنوية.
 - الترابط والتتابع في مفردات المنهاج.
 - متطلبات التفاوت في المستويات العقلية والنفسية.
 - اختلاف المهارات الفردية والمواهب الطبيعية والصفات المتنوعة بين التلاميذ.
- أما من حيث المضمون فقد تم مراعاة الأمور التالية :
- ينبغي اختيار نصوص ذات مستويات مختلفة.
 - يجب أن تكون الموضوعات متنوعة للتعبير الشفوي والكتابي، ثم يقوم التلميذ باختيار الموضوع الذي يناسبه ويحس أن له نفس للحديث فيه والتعبير عنه ، وفق ما توفره طبقا لمهارته وقدراته.
 - وضع تدريبات متنوعة ، ومتفاوتة المستوى ، ومتنوعة الأهداف لتسهم في عملية الفهم والاستيعاب ، و لتساعد كل طالب على إدراك الأهداف المقصودة في الدرس²⁵.

فإذا كانت المشكلة تتعلق بالتحصيل الدراسي فلا بد أن يوضح المقرر الدراسي كيفية علاج صعوبات التعلم، و كذلك هو الأمر إن تعلق المشكلة بالناحية النفسية ، فلا بد من وضع البرنامج الذي يتناسب معها، إضافة إلى توفير مستشار للتربية والحالات النفسية ، من أجل القيام بالعمل البيداغوجي والتربوي في كل المستويات، وذلك لأجل محاولة معالجة الأمراض النفسية لدى الأطفال (التلاميذ) ، و توجيههم إلى أحسن الطرق المساعدة في عملية الاستيعاب.

- يجب أن يستخدم المعلم فنيات التنشيط والتدعيم والتعديل المناسبة مع إجراء التقييم المرحلي لمعرفة مدى استفادة و توجيه عملية المواجهة، و هنا يتحكم المعلم أو الأخصائي النفسي في كمية جرعة التدريب حسب ملاحظته إلى أي الفئات هي في حاجة إلى مزيد من التلقين²⁶، فالمعلم يواجه مشكلة أخرى وهي مشكلة ضخامة البرنامج أو المقرر الدراسي و عدم كفاية الوقت، وذلك يمنع من أن يخصص لكل حالة من الحالات الفردية وقتا للاعتناء بها ورعايتها أو معالجتها وتفاديا لذلك.

6-2/ الطرق المتبعة في التعامل مع الفروق الفردية:

كما رأينا سابقا، فإن الفروق الفردية تعتبر من أكبر العوائق التي تعترض عملية السير الحسن للدرس، وحتى تسهل عملية مواجهة الفروق الفردية، وفرت الدراسات والأبحاث الجديدة مجموعة من الطرق والسبل يتبعها المعلم أثناء ممارسته للعملية التعليمية وهي :

أ- توفر التكنولوجيات المتطورة اليوم عددا لا يستهان به من الوسائل التعليمية تساعد في ابلاغ وإيصال المعلومة إلى المتعلم في فترة وجيزة ، كما أنها تخفف من الجهد المبذول في ذلك، " فالوسائل التعليمية تعتبر أسلوبا ومنهجيا لمواجهة الفروق الفردية، فالفرق واضح وكبير بين شرح المخ عن طريق الصور الصماء وشرحها من خلال فيلم الفيديو يوضح حركة اندفاع الدم داخل المخ ، ولذلك أصبح استعمالها ضرورة ملحة و حقيقية لا يمكن تجاهلها أو إهمالها، فاستعمال الوسائل التعليمية تساعد التلميذ على إشباع رغبته فيما هو متفوق فيه ، أو يمتلك استعدادا لقبوله أكثر من غيره " ²⁷ .

ب- التنشيط : تشير أغلب الأبحاث والدراسات إلى أن الإنسان القلق أو المتوتر يحتوي في داخله على طاقات لا يستهان بها وعلى المعلم باعتباره الموجه والمسير للطاقات والخبرات التي يمتلكها التلاميذ، أن يسعى إلى استثمار هذه الطاقات وتوجيهها إلى المسار الصحيح ، لأنه إن لم يفعل ذلك فإن تركيز التلميذ سوف يتشتت وقد يسعى إلى تفريغه في القيام بأعمال المشاكسة أو الفوضوية. وقد يتعرض التلميذ في كثير من الأحيان إلى الإحباط " فالإحباط هو جزء من السلوك الانساني فكل النفسيات معرضة له ولا يمكن لأي كان مفر منه، وهنا يمكن المعلم الحدق في أن يجعل من آثار الإحباط مما يزيد من التحصيل وليس العكس".

ج - التوقع : تفرض الضرورة على المعلم وواضع المنهاج معا أن يجعل الأهداف التعليمية تشكل العديد من التوقعات، بحيث تعبر هذه الأخيرة عن اهتمامات المدرس، مما يجعله يقدم المادة العلمية في صياغة تربوية تحقق توقعات الطلاب، وهذا يجعل من التعلم هدفا وقيمة عقلية لدى المتعلمين.

د- الحوافز: ونعني بها كل ما يمكن تقديمه لرفع معنويات المتعلم في حالة تعرضه لنوع من الإحباط أو الإحساس بالفشل واليأس، فيحس أنه لن يستطيع النجاح وأنه غير قادر على تحقيقه مهما فعل، كما تقدم الحوافز للمتفوق لجعله يستمر في التفوق ويثابر على النجاح، و الحوافز " في أبسط تحديد لها هي الهدف الحقيقي للموضوعات الخارجية، وقد تكون محددة المعالم، واضحة للعيان كالجوائز، وقد تكون بمثابة الرمز الذي يجتهد الطالب ويكد متكيدا سهر الليالي للحصول عليه، فلقب البكالوريا هو في حد ذاته رمز على المكافأة التي يحصل عليها الطالب بعد مسيرة طويلة من المثابرة والإجتهاد" ²⁸ .

فالمعززات عن بساطتها سواء كانت مادية أو معنوية فإنها تساهم في دفع حركة التعلم والنهوض بهم التلاميذ و دفعهم نحو التحصيل العلمي الناجع المفيد.

كما ينبغي أن ننوه في هذا المقام إلى مسألة نحسبها مهمة وهي " أنه لا يوجد نوع من المعززات يصلح لجميع التلاميذ ولا يستعمل هذا النوع من التعزيزات في جميع المناسبات، فكثيرا ما يلحظ المعلم أن هناك فروقا في التجاوب مع التعزيز إذ أن هناك من الطلبة من لا يكثر بما يوجه إليه من مدح وإطراء، بينما يشكل عند البعض الآخر أمرا مهما ، ويشعر الفرد جراء ذلك بالغبطة والسرور " ²⁹ ، وفي هذا المقام تكمن كفاءة المعلم في إيجاد البديل للتحفيز والتعزيز.

7-خاتمة:

- توصلنا من خلال مجريات البحث بشقيه النظري والميداني إلى جملة من النتائج نذكر أهمها على النحو التالي:
- ❖ الفروق الفردية هي تلك الانحرافات الفردية عن متوسط الجماعة، فالفرد يتحدد مستواه في أية صفة عن طريق مقارنته بمتوسط المجموعة التي ينتمي إليها.
 - ❖ تكمن أهم خصائص الفروق الفردية في: المدى وهو الفرق بين أعلى درجة لوجود الصفة وأقل درجة لها، كما ترتب هذه الأخيرة في شكل التنظيم الهرمي حيث توجد في قمته أعم صفة ثم تليها صفات أقل عمومية واتساعاً، وأيضاً توزيع الفروق الفردية، وقياسها.
 - ❖ تنحصر أنواع الفروق الفردية في أربعة أنواع رئيسية وهي: الفروق بين الأفراد، الفروق في ذات الفرد، الفروق بين المهن، الفروق بين الجماعات.
 - ❖ هناك عوامل كثيرة تؤثر في الفروق الفردية أهمها: الوراثة، البيئة، الجنس، المستوى العقلي والمعرفي.
 - ❖ ظاهرة الفروق الفردية ليست مقتصرة على الإنسان فقط، بل موجودة لدى جميع المخلوقات.
 - ❖ مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ يؤدي إلى تحقيق نتائج هائلة ومرتفعة في العملية التعليمية التعلمية.
 - ❖ معالجة الفروق الفردية وفق الاستراتيجيات الحديثة: استخدام التكنولوجيات الحديثة، التنشيط، التوقع، الحوافز... مما يؤدي إلى تحسين المستوى الدراسي للمتعلمين وصولاً إلى تحقيق الأهداف والغايات المرجوة والمنشودة.
 - ❖ تساعدنا الفروق الفردية على مراعاة متطلبات وحاجيات التلاميذ المختلفة داخل الصف الدراسي.
 - ❖ للمعلم المتمكن دور كبير في تقليص درجة الفارق بخصوص عملية التحصيل الدراسي بين المتعلمين.

هوامش الدراسة:

- ¹- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، باب، فرق، دار صادر، بيروت- لبنان، مج 10، 1410-1990، ص 301.
- ²- المرجع نفسه، باب (ف رد)، ص 331-333.
- ³- ينظر: نايف القيسي، المعجم التربوي و علم النفس، دار أسامة للنشر والتوزيع، دط، عمان، الأردن، 2010، ص 326.
- ⁴- ينظر: فرج عبد القادر طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، د.س، ص 347.
- ⁵- ينظر: ناصر أحمد الخوالده و يحي إسماعيل عيد، مراعاة مبادئ الفروق الفردية وتطبيقاتها العلمية في التدريس والتربية الإسلامية، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2005، ص 23.
- ⁶- ينظر: يحي محمد نهمان، الفروق الفردية و صعوبات التعلم، دار الباروزي العلمية للنشر و التوزيع، دط، عمان، الأردن، 2008، ص 139.
- ⁷- ينظر: ناصر أحمد الخوالده، يحي اسماعيل عيد، مراعاة الفروق الفردية و تطبيقاتها العلمية في تدريس التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص 26.
- ⁸- ينظر: سناء محمد سليمان، سيكولوجية الفروق الفردية و قياسها، عالم الكتب، ط1، القاهرة، مصر، 1426-2006، ص 32.
- ⁹- ينظر: سليمان الخضير الشيوخ، الفروق الفردية في الذكاء، دار الثقافة للطباعة و النشر، دط القاهرة، مصر، 1989-1990، ص 18.
- ¹⁰- ينظر: يحي محمد نهمان، الفروق الفردية و صعوبات التعلم، مرجع سابق، ص 32.
- ¹¹- المرجع نفسه، ص 32.
- ¹²- ينظر: ناصر أحمد خوالده، يحي اسماعيل عيد، مراعاة مبادئ الفروق الفردية و تطبيقاتها العلمية في تدريس التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص 26.

- ¹³ - ينظر: ناصر أحمد الخوالدة، يحي اسماعيل عيد، مرجع سابق، ص 26.
- ¹⁴ - المرجع نفسه، ص 27.
- ¹⁵ - ينظر: ناصر أحمد الخوالدة، يحي اسماعيل عيد، مرجع سابق، ص 27.
- ¹⁶ - ينظر يحي محمد نهان، الفروق الفردية و صعوبات التعلم، مرجع سابق، ص 143-144.
- ¹⁷ - ينظر: محمد السيد أبو النيل، انشراح محمد سوقي، علم النفس الفارق، دراسات عربية وعالمية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، د-ط، القاهرة، مصر، 1406-1986، ص 81-82.
- ¹⁸ - ينظر سليمان الخضري الشيخ، سيكولوجيا الفروق الفردية في الذكاء، دار المسير للنشر والتوزيع والطباعة، ط 2، عمان، الأردن، 1430 هـ، 2010 م، ص 14.
- ¹⁹ - ينظر: د/ سناء محمد سليمان : سيكولوجية الفروق الفردية وقياسها، عالم الكتب نشر وتوزيع وطباعة، ط 1، القاهرة، 1426 هـ - 2006 م، ص 34 - 35.
- ²⁰ - ينظر: المرجع نفسه ص 35.
- ²¹ - ينظر: د/ سناء محمد سليمان، سيكولوجيا الفروق الفردية وقياسها، مرجع سابق، ص 35.
- ²² - ينظر: د/ سليمان الخضري الشيخ؛ سيكولوجية الفروق الفردية في الذكاء، مرجع سابق، ص 24.
- ²³ - ينظر: د/ در سناء محمد سليمان: سيكولوجية الفروق الفردية وقياسها، مرجع سابق، ص 35.
- ²⁴ - ينظر: د/ سليمان الخضري الشيخ: سيكولوجية الفروق الفردية في الذكاء، مرجع سابق، ص 25.
- ²⁵ - ينظر: عبد الرحمن ابراهيم السفاسفة، طرائق تدريس اللغة العربية، الكرك يزيد للنشر، ط 3، الأردن، 1425 هـ، 2004 م، ص 68.
- ²⁶ - ينظر: أنسي محمد قاسم، الفروق الفردية و التقويم، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، د-ط، عمان، الأردن، ص 247.
- ²⁷ - ينظر: عبد الرحمن ابراهيم السفاسفة، طرائق تدريس اللغة العربية، مرجع سابق، ص 69.
- ²⁸ - ينظر: أنسي محمد قاسم، الفروق الفردية و التقويم، مرجع سابق، ص 250.
- ²⁹ - ينظر: أنسي محمد قاسم، الفروق الفردية و التقويم، مرجع سابق، ص 251.